أحبابَنا إن وَنَتْ عنّي رسائلكم ... فلستُ أسألُ إلاّ الفضل والحسبا .
وحياتكم ما لنفسي عنكُمُ بدلٌ ... كلاّ ولا اتّخذتْ في غيركم أرَبا .
أُعيذُ ودّكم من أن يغيّرهُ ... نأيٌ ولا جُرّدَتْ من دون ذاك ظُبَى .
لعلّ دهراً قضى بالبعد يجمعنا ... وقلّما جاد دهرٌ بالّذي سلبا .
أرضى بحكم زماني وهو يظلمني ... فيكم وأجني ببعدي عنكم التعبا .
ولن يُظَفّرَني إلاّ بودّكُمُ ... يا حيرتي فيكمُ إن ردّ ما وهبا .
نسيتموني ولم أَعتدْ سوى كَرَمٍ ... منكم يُبَوّئُني من فضلكم رُتَبا .
حاشاكمُ أن تَرَوْا هجري بلا سبب ... أو تجعلوا البين فيما بيننا حُجُبا .
عاقبتموني ولا ذنبٌ أتيتُ به ... فَقُلْ عن الصخر إذ يقسو ولا عجبا .
عودوا إلى جبر كسري لا فُجِعْتُ بكم ... فقد لقيتُ ببعدي عنكمُ نصبا .
وكتب هو إليّ وأنا بدمشق وهو بصفد وقد ظنّ أنّي لمّا كنت بالقاهرة تمالأتُ عليه وعلم الله كافٍ : .
إن كان ظنّكَ أنّني لك ظالمُ ... فارْحمْ لأن تُسْمَى بأنّكَ راحمُ .
حَسْبُ المسيء من القصاص بأنّه ... جرحٌ بجرحٍ والسعيد مسالمُ .
كم قد حرصتُ على التّنصّلِ عندما ... وقع العتابُ فما أقالَ الحاكمُ .
الله يعلم أنّني لك عاذرٌ ... والله منّي بالبراءة عالمُ .
ها قد جرى لي ما جرى لك قبلها ... ووقعتُ في صفدٍ وأنفي راغمُ .
إن صحّ لي فيها عليك جنايةٌ ... فجزاؤها هذا العقابُ اللازمُ .
فاقنعْ به واذكر قديمَ مودّتي ... فالعهدُ فيما بيننا متقادِمُ .
أوَلَم يكنْ ذنبٌ وحالي ما ترى ... فامدُدْ إليّ يداً وجاهُكَ قائمُ .
فلقد تأتّى ما تريد فوالِني ... منك الجميلَ فأنّه لك دائمُ .
جارَ الزمانُ على وليّكَ واعتدى ... وإليك للزمن الألدّ يخاصِمُ .
من كان ليس بنادمٍ مُستدرِكٍ ... فأنا عليك إلى مماتي نادمُ .
كانتْ هناةٌ وانقضتْ ومَنِ الذي ... منّا وليس له تُعَدّ جرائمُ .
إنّ الذي قَسَمَ الحظوظَ كما يشا ... للرزقِ ما بين البرايا قاسمُ .
قُلّ وكثرْ وليس تبقى حالةٌ ... والدهر بين الناس بانٍ هادمُ .
يا من له أخلصتُ كنْ لي مخلصاً ... فعلى مُجازينا كلانا قادمُ .

أعلنتُ بالشكوى لضُرٍّ مَسَّني ... لكنَّ وُدِّي في الحقيقة سالمُ .
ولك السيادة حليةٌ ومكارمُ ... الأخلاقِ منها في يديك خواتمُ .
فاقبلْ أخوَّتيَ الجديدةَ إنَّني ... فيها لمجدك أو لودِّك خادمُ .
وإلى الرِّضى عُدْ بي وللحُسنى أَعِدْ ... حتَّى تقومَ على الصفاءِ علائمُ .
والبَسْ رياستك السنية حُلَّة ... أبداً لها من نسج سعدك راقمُ .
واجعلْ لها شكراً إقالةَ عثرةٍ ... من صاحبٍ قد صَدَّ عنه العالمُ .
أنتَ الخليلُ بل الخليُّ من الهَوَى ... وأخوَّتي قد جرَّها لك آدمُ .
فأَعِنْ أخاك بحسن سعيك مرَّةً ... إنَّ المغارِمَ في الإخاء مغانمُ .

ولم يزل في كتابة الإنشاء بدمشق إلى أن طلبه القاضي علاء الدين بن فضل ا إلى باب السلطان بمرسوم السلطان الملك المظفَّر فتوجَّه هو وولده شهاب الدين أحمد إلى الديار المصرية في البريد . ورُتِّب زين الدين المذكور موقِّعاً في الدَّسْت الشريف بالأبواب السلطانية وكان توجَّه من دمشق في يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مائة وأقام هناك إلى أن توفي C وسامحه في ثامن عشرين صفر سنة تسع وأربعين وسبع مائة بعد مرض طويل قاسى منه شدَّة .

ووقفتُ له على كتاب كان قد كتبه من صفد بخطِّه إلى القاضي علاء الدين ابن فضل ا وهو :